

الحق في الحياة والكرامة الإنسانية ... رؤية إسلامية

أ.د. عبد الحميد عبد المنعم مذكور*

Drmadkour42@gmail.com

ملخص:

جاء الإسلام الحنيف ليتحدث إلى الإنسان وعنه بوصفه إنساناً، مقررًا لحقوق عامة تسمو على الطائفية والعنصرية والمذهبية، وقد تقررت هذه الحقوق بهذا العموم والشمول في المصدرين الأساسيين للإسلام، وهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ثم جاءت حضارة الإسلام لتكون شاهدة على التطبيق العملي لهذه الحقوق قبل أن يتحدث المعاصرون عن هذه الحقوق أو أن يدعوا إليها، وقد تتبّع هذا البحث من النصوص المؤسّسة، ومن الوقائع المؤيِّدة لما دعت إليه هذه النصوص ما وضع هذه الرؤية.

وترتكز هذه الرؤية على جانبين: حق الحياة، وحق الكرامة الإنسانية. والحق في الحياة: يتمثل في ثلاث دوائر: دائرة الملكية، ودائرة الوقاية والحفظ والتّحريم وما يتعلّق بها من تشريعات، ثمّ دائرة الرّخص ورفع الحرج، والدائرة الأولى هي الأصل، والدائرتان الأخريان مبنيتان عليها وراجعتان إليها. وتجدر الإشارة إلى أنّ الإسلام لا يُفرّق هنا بين الأنفس بسبب الأديان. فللنفس حرمتها، كما كان لها - من قبل - حقها في الكرامة الإنسانية.

* الأمين العام لمجمع اللغة العربية، وأستاذ بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

أما حقّ الكرامة الإنسانية في الرؤية الإسلامية: فالإنسان - بوصفه إنساناً - له نصيب من التّكريم والكرامة، التي لا يصحّ سلبها أو العدوان عليها إلا بسبب مشروع كالإيذاء أو القتل ونحوهما مما ينال من حقوقه وكرامته بحسب ما يقع منه من عدوان. كما أنّ الإنسان أو النّوع الإنسانيّ ذو موقع مركزيّ في هذا الوجود.

وهناك نوع آخر من الكرامة يمكن تسميته " الكرامة الخاصّة"، وهذه الكرامة لا ينالها كل بني آدم؛ بل هي مخصوصة بفريق خاص من الناس، هم المؤمنون بالله تعالى، المُقرّون بوحديّته، الباذلون جهدهم في طاعته. وقد أوضح البحث تعدد مظاهر التّكريم في النّصوص الإسلاميّة ومنها: التّصريح المباشر بتكريم آدم وبنيه، وأنّ الله علّمه الأسماء كلّها، وأعطاه مفاتيح القدرة على معرفتها وتسميتها، وتسخيرها، واستكناه أسرارها.

كما أنّ هذا التّكريم لم يختص بالمسلمين وحدهم، بل امتدّ ليشمل أهل الكتاب من اليهود والنّصارى ولم يقتصر الأمر في الحفاظ على الكرامة على أهل الكتاب، بل إنّه امتدّ إلى غيرهم من النّاس الذين لم يكن لهم حظّ أو نصيب مماثل لهؤلاء من العلاقة بالدّين الإلهي، وينطبق ذلك على المشركين وأمثالهم. وقد لفت البحث النّظر في هذا السّياق إلى ملحوظتين هامّتين:

أولاهما: أنّ الإنسان - في هذه الرّؤية الإسلاميّة - يخرج إلى الوجود، ولديه الصّلاحية لفعل الخير والشرّ معاً. والثّانية: هي أنّ هذه المكانة العليا التي جعلها الله تعالى للإنسان في الوجود لا تعطيه سيادة مطلقة على هذا الوجود، يتصرّف فيه كما يشاء، على هواه، دون التزام بقيود أو شروط؛ بل إنّها سيادة

مشروطة بدين صحيح يصله بالله، وعبودية منضبطة بالقيم العادلة، والنفع لنفسه وللآخرين.

كما يترتب على ما سبق الدعوة إلى احترام الذات، الرفق بهذه النفس، وعدم إرهاقها بما يتعدّر عليها القيام به، وصيانتها من كلّ ما فيه تعجيز لها أو إيقاع أي أذى بها.

وهكذا تترسخ قيمة الحياة الإنسانية في شريعة الله تعالى، وتُصان من كلّ عدوان أو اعتداء إلا بحقّ الله تعالى، كما ترسّخت من قبل قيمة الكرامة الإنسانية، وتكفّلت بذلك عناصر متكاملة من العقيدة والتّشريع والأخلاق، جمعت في ثناياها بين النّظر والعمل، وبين المبادئ والتّطبيق، واتّسعت آفاقها لتشمل البشريّة في أصل وجودها، دون تمييز أو تفريق، وإن كانت قد جعلت لأهل الإيمان بالله تعالى وبشريّته مقامًا عليًّا، ولكنه ليس محصورًا في جنس أو لون أو نسب أو عصبية، بل يناله ويرتفع إليه كلّ من يسعى إليه من بني البشر أجمعين.

لذا فقد ترتّب على هذه الرؤية كثيرٌ من المبادئ الإنسانية الأخرى، كقبول الآخر، والحوار الحضاريّ، وحرمة التّعدي إلا بحق مشروع كالّدفاع عن النفس.

والحمد لله رب العالمين، أولاً وآخراً.

الكلمات المفتاحية: حقوق الإنسان - الرؤية الإسلامية - دائرة الملكية -

الحفظ - التحريم - الوقاية - الرخص.